

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَناهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا لِفَصَاتِهِ مِنَ الْكَمَالِ وَالْعُلُوِّ، وَمَا لِصِفَةِ
الْإِنْسَانِ مِنَ السُّفُولِ، وَأَعَقَبَهُ بَيَانِ مَا لِأَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْإِتْقَانِ
وَالْإِحْكَامِ، ثُمَّ مَا لِأَفْعَالِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْاِعْوَجَاجِ الْجَارِيِ مَعَ طَبَاعِهِ؛
بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ مَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ نِّعَمٍ دُنْيَوِيَّةٍ بَعْدَ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ
نِّعَمٍ دِينِيَّةٍ، فَقَالَ ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (1).

بَيَانُ النِّعَمِ
الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي
أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى
بِهَا عَلَى الْعِبَادِ
بَعْدَ ذِكْرِ النِّعَمِ
الدِّينِيَّةِ

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿آيَتَيْنِ﴾: تَشْنِيَةُ آيَةٍ، وَجِذْرُهَا - وَهُوَ الْهَمْزَةُ وَالْيَاءُ وَالْحَرْفُ
الْمَعْلُومُ (2) - يَدُلُّ عَلَى بَقَاءِ الشَّيْءِ فِي مَكَانِهِ شَاخِصًا عَلَامَةً لِشَيْءٍ (3)،
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: خَرَجَ الْقَوْمُ بِأَيَاتِهِمْ، أَيْ: جَمَاعَتِهِمْ؛ فَلَمْ يَدْعُوا شَيْئًا
مِمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصًا إِلَّا حَمَلُوهُ، وَفِيهِ مَعْنَى الْكَثْرَةِ
وَالْجَسَامَةِ أَيْضًا، وَالْآيَةُ: كُلُّ شَيْءٍ ظَاهِرٍ مُلَازِمٍ لَشَيْءٍ بَاطِنٍ يُعْرَفُ
بِهِ حَسْبًا كَانَ أَوْ عَقْلِيًّا (4).

وَالْآيَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ الْعَلَامَةُ،
أَيْ: جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَامَتَيْنِ (5).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 384.

(2) في اشتقاق (الآية) خلاف، يُنظر: الألوسي، روح المعاني: 1 / 242.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ للوُضَل: (أبي).

(4) الزَّائِب، المفردات: (أي)، ومحمَّد رشيد رضا، تفسير النار: 1 / 238.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 17 / 395.

(2) ﴿فَمَحَوْنَا﴾: الميم والحاء والحرَفُ المعتلُ تدلُّ اشتقاقته على الذَّهَابِ بالشَّيءِ، وَمِنْهُ: المَحْوُ، وهو إزالة الأثر، وَمِنْهُ قَوْلُكَ: محوْتُ الكتابَ، أَذْهَبْتُ بَأَثَرِهِ⁽¹⁾، والمَحْوُ في قولِ الله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ هو إزالة الضَّوِّءِ مِنْهَا⁽²⁾.

(3) ﴿مُبْصِرَةً﴾: الباءُ والصادُ والراءُ تدورُ أكثرُ تصريفاتها على مَعْنَى العِلْمِ بالشَّيءِ، يُقَالُ: هو بصيرٌ بالأمرِ، أي: عالمٌ بِهِ⁽³⁾، والبصيرةُ: المَعْرِفَةُ التي يُمَيِّزُ بها الحقُّ مِنَ الباطلِ⁽⁴⁾، ويُطْلَقُ البَصْرُ على ما يُنْظَرُ بِهِ، كالواردِ في قولِ الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [النحل: 77]، ويُطْلَقُ على القوَّةِ النَّاظِرَةِ التي فيه، ويُطْلَقُ أيضًا على القوَّةِ المُدْرِكَةِ التي في القلبِ⁽⁵⁾.

و﴿مُبْصِرَةً﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مُضِيَّةً، تُمْكِّنُ مِنَ الْإِبْصَارِ⁽⁶⁾.
(4) ﴿لَتَبْتَغُوا﴾: الباءُ والغينُ والياءُ تدلُّ على مَعْنَيَيْنِ كَلِّيَّتَيْنِ؛ أحدهما: طَلَبُ الشَّيْءِ، والآخرُ: ضَرْبٌ مِنَ الْفَسَادِ، وَمِنَ الْأَوَّلِ: بَغَيْتُ الشَّيْءَ، أَي: طَلَبْتُهُ، وَالْبَغْيَةُ: الْحَاجَةُ⁽⁷⁾، وهي الطَّلَبَةُ، والابْتِغَاءُ: الاجْتِهَادُ فِي الطَّلَبِ، وَيُحَمَّدُ، أَوْ يُذَمُّ بِحَسَبِ مَا يُطْلَبُ⁽⁸⁾، وهو في قولِ الله سبحانه: ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ابتغاءٌ محمودٌ؛ لتعلقه بفضلِ الله تعالى.

(5) ﴿السَّيِّئِينَ﴾: لفظُ (السَّيِّئِينَ) اختلفَ في لامِها؛ أهو الواوُ والهاءُ؟ مع اتِّفَاقِهِمْ على حَذْفِها، والسَّيِّئُ والنُّونُ والهَاءُ تدلُّ تصريفاتها على امْتِدَادٍ مَعَ خُلُوءٍ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ فُسَادٍ، وَمِنْهُ السَّنَةُ التي لا مطَرَ فيها، كما في قولِ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيِّئِينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: 130]، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ لَفْظُ (سَنَةٍ) مجرَّدًا عَنْ قَيْدِ الْقَحْطِ، فَاسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى الزَّمَنِ، ثُمَّ بِمَعْنَى الْحَوْلِ، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (محو)، والزَّاعِبُ، المفردات: (محو).

(2) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 47.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بصر).

(4) الواحدي، التفسير البسيط: 262/12.

(5) الراغب، المفردات: (بصر).

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي للواصل: (بصر).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).

(8) الراغب، المفردات: (بغي).

تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ [الحج: 47]، وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ (1).

(6) ﴿فَصَلَّنْهُ﴾: الفاءُ والصَّادُ واللامُ تدلُّ تصریفاتها على تمييزِ شيءٍ مِنْ شيءٍ وإبانتهِ عَنْهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْحَاكِمُ فَيَصَلًّا؛ لِأَنَّهُ يُمَيِّزُ الْحَقَّوقَ، وَسُمِّيَ اللِّسَانُ مِفْصَلًا؛ لِأَنَّهُ بِهِ تُمَيِّزُ الْأُمُورَ (2)، وَالْفَصْلُ: إِبَانَةُ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ مِنَ الْآخَرِ، حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ (3)، وَالتَّفْصِيلُ: التَّبْيِينُ (4)، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنْهُ تَفْصِيلًا﴾ أَي: بَيَّنَّاهُ تَبْيِينًا (5).

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حِكْمَتَهُ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَعاقُبِهِمَا، فيقول: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَامَتَيْنِ دَالَّتَيْنِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِنَا وَقُدْرَتِنَا، وَخَالَفْنَا بَيْنَ الْعَلَامَتَيْنِ؛ بِإِظْلَامِ عِلَامَةِ اللَّيْلِ - وَهِيَ الْقَمَرُ - وَإِضَاءَةِ عِلَامَةِ النَّهَارِ - وَهِيَ الشَّمْسُ - لِنَسْكُنُوا فِي أَحَدِهِمَا، وَتَتَصَرَّفُوا فِي ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ فِي الْآخَرِ، وَلِتَعْلَمُوا بِاخْتِلَافِهِمَا عَدَدَ السِّنِينَ وَانْقِضَاءِهَا، وَابْتِدَاءَ دُخُولِهَا، وَحِسَابَ سَاعَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهَا، وَكُلَّ شَيْءٍ بَيَّنَّاهُ بَيَانًا شَافِيًا لَكُمْ (6).

بَيَانُ حِكْمَةِ آيَةِ
اللَّيْلِ وَآيَةِ النَّهَارِ

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دِلَالَةُ الْوَإِ فِي ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾:

الوَإُ فِي ﴿وَجَعَلْنَا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَايَتَيْنِ﴾ عَاطِفَةٌ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ﴾

دِلَالَةُ آيَةِ اللَّيْلِ
وَآيَةِ النَّهَارِ عَلَى
الرَّبِّ الْخَالِقِ
وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ

(1) جبل، العجم الاشتقاقى للؤصل: (سنه).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فصل).

(3) الراغب، المفردات: (فصل).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (فصل).

(5) ابن جرير، جامع البيان: 397/17.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 395/17، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير للبشر، ص: 283.

بِالْخَيْرِ»، ووجه ذلك أن جملة «وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ» تتضمن أن تأخير الوعد لا يرفعه، وأن الاستعجال لا ينفع صاحبه؛ لأن لكل أمر أجلاً لا يتقدم عنه، ولما كان الأجل عبارة عن أزمانه؛ كان مستملاً على ليل ونهار متقضيَيْن، فلما أريد التنبيه على ذلك؛ أدمج فيه ما هو أبلغ وأهم في بيان العبرة بالزمنين، وهو كونهما آيتين على الرب الخالق وعظيم قدرته⁽¹⁾.

بلاغة الجمع والتفريق في الآية:

في قول الله سبحانه: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» أسلوب الجمع والتفريق، وحقيقته: أن يدخل شيان في معنى واحد، ويفرق بين جهتي الإدخال⁽²⁾، فقد أفادت الآية أن الليل والنهار قد اجتمعا في كونهما آيتين من آيات الله سبحانه، وهذه هي جهة الاجتماع، وأن آية الليل آية محو، أي: إزالة سبب رؤية ذوي الأبصار للأشياء، وهو الضياء، بخلاف آية النهار، فهي آية إِبصار، أي: آية إيجاد سبب رؤية ذوي الأبصار للأشياء، وهذه هي جهة الافتراق.

بلاغة أسلوب التفسير في الآية:

في قول الله ﷻ: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» أسلوب التفسير، وهو - في إحدى صوره -: ذكر متعدّد، ثم إضافة ما لكلٍ إليه على التّعيين⁽³⁾، والمتعّد: هو الليل والنهار، ثم أضيف إلى كلٍّ منهما ما يخصّه على وجه التّعيين، وليس هذا لفاً ونشراً؛ لأن من شرط اللف والنشر ألا يقع على سبيل التّعيين، بل يوكل الأمر إلى السامع.

آية الليل آية
محو، وآية
النهار آية إِبصار

إضافة ما لكلٍ
آية من الآيتين
ما يخصّه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 43 / 15.

(2) عبد المتعال الصعدي، بغية الإيضاح: 605 / 4.

(3) أحمد الراغي، علوم البلاغة، ص: 332.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِفِعْلِ الْجَعَلِ:

مِنْ مَعَانِي فِعْلِ الْجَعَلِ التَّحْوِيلُ وَالتَّصْيِيرُ، وَلَكِنَّهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾، بِمَعْنَى الْخَلْقِ⁽¹⁾، أَي: ابْتَدَأْنَا خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مُنْتَفِئًا عَنْهُمَا هَذَا الْوَصْفُ، ثُمَّ أُوجِدَ فِيهِمَا، فَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: سَبَحَانَ الَّذِي جَعَلَ اللَّبْنَ أَبْيَضَ! فَاللَّبْنُ لَمْ يَكُنْ لَهُ لَوْنٌ غَيْرُ الْبَيَاضِ، فَحَوَّلَ إِلَى الْبَيَاضِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ابْتَدَاءً⁽²⁾.

ابْتِدَاءُ خَلْقِ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
عَلَى كَوْنِهِمَا
آيَتَيْنِ

دِلَالَةُ إِسْنَادِ فِعْلِ الْجَعَلِ ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

أُسْنَدَ فِعْلِ الْجَعَلِ إِلَى الضَّمِيرِ (نَا) الدَّالُّ عَلَى الْعِظَمَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾، تَعْظِيمًا لَشَأْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَشَأْنِ وَصْفِهِمَا الْمَذْكُورِ، وَهُوَ كَوْنُهُمَا آيَتَيْنِ؛ إِذِ الَّذِي صَيَّرَهُمَا بِذَلِكَ الْوَصْفِ هُوَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﷻ، وَمَا يَصْدُرُ مِنَ الْعَظِيمِ عَظِيمٌ.

تَعْظِيمُ شَأْنِ
آيَتِي اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

عُبِّرَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿وَجَعَلْنَا﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾؛ لِتَحْقِيقِ الْوَصْفِ الْمُقْتَرِنِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَا لِتَحْقِيقِ أَصْلِ وَجُودِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يَشْهَدُ بِهِ الْوَاقِعُ، وَلَا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ، وَتَحْقِيقُ وَصْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِكَوْنِهِمَا آيَتَيْنِ أَدْعَى إِلَى تَدَبُّرِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَأَبْلُغُ فِي تَثْبِيَّتِهَا.

وَصَفُّ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ بِكَوْنِهِمَا
آيَتَيْنِ أَدْعَى
إِلَى تَدَبُّرِ هَذِهِ
الْحَقِيقَةِ الْكُوْنِيَّةِ

دِلَالَةُ ذِكْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بَعْدَ ذِكْرِ دُعَاءِ الْإِنْسَانِ:

لَمَّا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِنْسَانَ بِكَوْنِهِ عَجُولًا، أَي: مُنْتَقِلًا مِنْ حَالٍ إِلَى أُخْرَى؛ بَيَّنَّ أَنَّ أَحْوَالَ هَذَا الْعَالَمِ كَذَلِكَ فِي أَصْلِ الْإِنْتِقَالِ، وَهُوَ الْإِنْتِقَالُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ وَبِالْعَكْسِ، وَانْتِقَالُ نَوْرِ الْقَمَرِ مِنَ النُّقْصَانِ إِلَى الزِّيَادَةِ وَبِالْعَكْسِ⁽³⁾.

أَحْوَالُ الْعَالَمِ
مُتَغَيِّرَةٌ مُنْتَقِلَةٌ،
كَمَا أَنَّ أَحْوَالَ
الْإِنْسَانِ كَذَلِكَ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 60 / 3.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 8372 / 14.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 305 / 20.

سِرُّ تقديم اللَّيْلِ على النَّهَارِ:

تقديم اللَّيْلِ على
النَّهَارِ مِنْ بابِ
تقديم المَعْدُومِ
على المَوْجُودِ

قُدِّمَ اللَّيْلُ على النَّهَارِ في قولِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
ءَايَاتٍ﴾، وقُدِّمَتِ آيَةُ اللَّيْلِ على آيَةِ النَّهَارِ في التَّفْرِيقِ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ
ظُلَامٌ، وَحَقِيقَةُ الظُّلَامِ: عَدَمُ الضَّوِّ، وَالْعَدَمُ مَقْدَمٌ على الوجودِ في
هذه المخلوقات⁽¹⁾.

بَلَاغَةُ الطَّبَاقِ في الجَمْعِ بَيْنَ ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾:

تَرْغِيبُ أَهْلِ
النَّظَرِ في تَأَمُّلِ
آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
وَنَعْمِهِ

في الجَمْعِ بَيْنَ ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ مِنْ قولِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ ءَايَاتٍ﴾ طَبَاقٌ إيجابٍ، والجَمْعُ بينهما - وهما متضادان -
يَكْسُو الكلامَ جمالاً، ويزيده بهاءً ورونقاً؛ إِذِ الضَّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ
الضَّدِّ، وقد جَمَعَتِ هذه الآيةُ الكريمةُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وهما آيتان
عظيمتان، ونِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ على العبادِ، وَرَحْمَةٌ مِنْهُ
بِهِمْ، ثُمَّ نَصَّتْ على الفَرْقِ بَيْنَهُمَا باعتبارِهِمَا آيَتَيْنِ، وفي الجَمْعِ بَيْنَ
الضَّدِّينِ في صَدْرِ الآيةِ، ثُمَّ في ثَنَائِهَا تَرْغِيبٌ لِأَهْلِ النَّظَرِ في تَأَمُّلِ
هذه الآيةِ والنَّعْمَةِ⁽²⁾.

والطَّبَاقُ المذكورُ في الآيةِ رُشِّحَ بِأَفَانِينَ مِنَ الْبَلَاغَةِ: مِنَ الجَمْعِ
والتَّفْرِيقِ، والتَّسْمِيَةِ - وهو قَرِيبٌ مِنَ اللَّفِّ والنَّشْرِ - وَحَقِيقَةُ
التَّرْشِيحِ في الطَّبَاقِ: أَنْ يُوْجَدَ مع التَّضَادِّ صُورٌ أُخْرَى مِنْ صُورِ
البَدِيعِ أَوْ لَوْنٌ مِنَ ألْوَانِ الْبَلَاغَةِ، فيتَقَوَّى الطَّبَاقُ بِذَلِكَ، وَيَكْتَسِي
الكَلَامُ بهاءً وطلاوةً، ويزداد المعْنَى اتِّضاحاً وظهوراً⁽³⁾.

بَلَاغَةُ التَّشَابُهِ اللَّفْظِيِّ:

تَصَرُّفُ الْبَيَانِ
الْمُزَارِّيِّ في
الأَلْفَاظِ إِفْرَادًا
وَتَثْنِيَّةً بِمَا يَلَايِمُ
الْمَقَامَ

ثَنَّى لَفْظُ (آيَةٍ) في قولِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
ءَايَاتٍ﴾، وَأَفْرَدَ في قوله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [الأنعام: 150]؛ لِلتَّشْبِيهِ على أَنَّ كِلَا مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ؛ إِذِ التَّقْدِيرُ:

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 47.

(2) بسبوني فيود، علم البديع، ص: 139 - 140.

(3) بسبوني فيود، علم البديع، ص: 152.

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ آيَةً، وَالنَّهَارَ آيَةً)، بخلاف آية سورة (الْمُؤْمِنُونَ)، فأريد بالآية الجنس، وقصد بالإفراد بيان أن بين مريم وابنها حالاً مشتركة هي آية واحدة، ثم في كل منهما آية أخرى مستقلة باختلاف حال التأمل في شأنهما⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالفاء في: ﴿فَمَحَوْنَا﴾:

الفاء في ﴿فَمَحَوْنَا﴾ من قول الله ﷻ: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ تفسيرية، وذلك لأن المحو المذكور، وما عطف عليه ليس مما يحصل عقيب جعل الليل والنهار آيتين، بل هما من جملة ذلك الجعل ومكملاته، هذا إذا حمل محو القمر على معنى خلقه مطموس النور في نفسه، أما إذا حمل المحو على نفس ما استفادته القمر من الشمس شيئاً فشيئاً إلى المحاق، فالفاء دالة على التعقيب⁽²⁾. ويجوز أن تكون الفاء اعتراضية، والجملة بعده وقعت اعتراضاً بين جملة ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ومتعلقها، وهو قوله: ﴿لَتَبْعُوا فُضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾⁽³⁾.

سر التعبير بالمحو دون الإزالة:

في التعبير عن زوال نور القمر بالمحو في قول الله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ إيحاء إلى أن نوره مكتسب، وأن ذلك حاصل من الشمس، وذلك لأننا نرى في القمر نورا، مع قطعنا بأن لا نور له الآن؛ فتعلم من هذا أن ذلك النور ليس منه، وإنما هو مستفاد من غيره، وفي التعبير بالمحو إشارة إلى أنه كان مضيئاً، ثم أزيل ضوؤه، فصار مظلماً⁽⁴⁾.

وعدل النظم القرآني عن التعبير بالإزالة إلى التعبير بالمحو؛ لأن الإزالة تستعمل غالباً لإعدام الذات أو تحيها عن مكانها، فلو جاء

لَخَوِ الْقَمَرَ
مَغْنِيَانِ خَلَقَهُ
مَطْمُوسَ النَّوْرِ،
وَاسْتِفَادَتُهُ النَّوْرَ
مِنَ الشَّمْسِ إِلَى
الْمُحَاقِ

نُورُ الْقَمَرِ
مُكْتَسَبٌ مِنْ
نُورِ الشَّمْسِ،
وَلَيْسَ نُورًا ذَاتِيًّا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 139 / 17.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 159 / 5.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 44 / 15.

(4) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 46 - 47.

النَّظْمُ الْقِرَائِيُّ: (فأزلنا آية الليل)؛ لتوهم غير المراد، وربما توهم تعارض القرآن الكريم مع الحس والواقع.

دلالة إسناد فعل المحو إلى الضمير:

مَحُو الْقَمَرِ
صَادِرٌ بِعَظَمَةِ
اللَّهِ تَعَالَى
الْبَاهِرَةِ

أُسْنِدَ فِعْلُ الْمَحْوِ إِلَى الضَّمِيرِ (نا) الدَّالُّ عَلَى الْعَظَمَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾، تعظيماً لشأن هذا الوصف المذكور وهو كَوْنُ الْقَمَرِ مَمَحُوًّا نُورُهُ، وَأَنَّهُ صَادِرٌ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْبَاهِرَةِ⁽¹⁾؛ إِذِ الَّذِي مَحَاهُ هُوَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﷻ، وَمَا يَصْدُرُ مِنَ الْعَظِيمِ عَظِيمٌ.

بلاغة الاستعارة في استعمال لفظ المحو:

تَشْبِيهُ اخْتِفَاءِ
الْأَشْيَاءِ
فِي الظُّلْمَةِ
بِالْمَحْوِ

فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ استعارة؛ حَيْثُ أُطْلِقَ الْمَحْوُ عَلَى انْعِدَامِ النُّورِ؛ لَكَوْنِ النُّورِ يُظْهِرُ الْأَشْيَاءَ، وَالظُّلْمَةُ لَا تَظْهِرُهَا، فَشَبَّهَ اخْتِفَاؤُهَا بِالْمَحْوِ، فَيَكُونُ مَعْنَى ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾: جَعَلْنَاهَا لَا تُبْصَرُ الْمَرْتِيئَاتُ فِيهَا، كَمَا لَا يُبْصَرُ مَا مُحِيَ مِنَ الْكِتَابِ، فَتَكُونُ الاستعارة تَصْرِيحِيَّةً تَبْعِيَّةً⁽²⁾.

دلالة إضافة لفظ (آية) إلى: (الليل) وإلى (النهار):

تَحْقِيقُ مَضْمُونِ
الْجُمْلَةِ التَّقْدِمَةِ

إِضَافَةُ ﴿آيَةٍ﴾ إِلَى ﴿الَّيْلِ﴾ وَإِلَى ﴿النَّهَارِ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾ بَيَانِيَّةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: (فَمَحَوْنَا الْآيَةَ الَّتِي هِيَ اللَّيْلُ، وَجَعَلْنَا الْآيَةَ الَّتِي هِيَ نَفْسُ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)، وَذَلِكَ كَمَا فِي إِضَافَةِ الْعَدَدِ إِلَى الْمَعْدُودِ، نَحْوُ: خَمْسَةُ رِجَالٍ، وَفَائِدَةُ الْإِضَافَةِ الْبَيَانِيَّةُ هُنَا: تَحْقِيقُ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ، وَالْمَعْنَى: (جَعَلْنَا الْآيَةَ الَّتِي هِيَ اللَّيْلُ مَمَحُوًّا الضُّوءِ مَطْمُوسَةً، لَا يَسْتَبِينُ فِيهِ شَيْءٌ، كَمَا لَا يَسْتَبِينُ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَمْحُورِ)⁽³⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 385.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 7 / 20، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 15 / 44.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، 20 / 306، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5 / 159، والألووسي،

روح المعاني: 8 / 26.

دلالة إعادة لفظ ﴿عَايَةً﴾:

في تكرار لفظ ﴿عَايَةً﴾ في قول الله ﷻ: ﴿فَمَحَوْنَا عَايَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا عَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ تنبيهه على أن المراد بالآية في الموضع الثاني معنى غير معنى الآية في الموضع الأول؛ إذ آية الليل الملازمة له هي القمر، وآية النهار الملازمة له هي الشمس، وفي هذا التنبيه دليل على بديع صنع الله سبحانه، وتذكير للعباد بنعمة تكوين هذين الخلقين العظيمين⁽¹⁾.

تذكير العباد
بنعمة تكوين
هذين الخلقين
العظيمين

المجاز العقلي في: ﴿مُبْصِرَةً﴾:

في قول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا عَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ إسناد الإبصار إلى الشمس - وهي آية النهار - لأنه لما كانت الشمس في غاية الضياء بحيث يبصر بها كل من له بصر؛ أُسند إليها الإبصار على وجه المبالغة، فيكون هذا من الإسناد المجازي، كما في قولهم: لسان متكلم، أي: متكلم به، فالأمر قد يُسند إلى ما يكون به من آلة وسبب، فيكون معنى: ﴿وَجَعَلْنَا عَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مبصرة بسببها، والمبصر حقيقة هو صاحب البصر، ولكن صاحب البصر لا ينتفع ببصره إلا في الضياء دون الظلام⁽²⁾.

لا انتفاع بالبصر
إلا في الضياء

معنى اللام في: ﴿لَتَبْتَغُوا﴾:

اللام في ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا عَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضلاً من ربكم﴾ يراد بها التعليل، وهي علة تختص بآية النهار، أي: جعلنا آية النهار مبصرة لأجل أن تسعوا في طلب الرزق الذي هو من فضل الله عليكم⁽³⁾.

من جكم آية
النهار تسهيل
السعي في طلب
الرزق

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 44 / 15.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 385 / 11، وابن الجوزي، زاد المسير: 13 / 3، والآلوسي، روح المعاني: 26 / 8.

وابن باديس، مجالس التذكير، ص: 47.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 44 - 45.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الْإِبْتِغَاءِ:

لِتَحْصِيلِ
لِلْمَطْلُوبَاتِ
شَرْطَانِ السَّعْيِ
وَالْحُبَّةِ

عُبِّرَ بِلَفْظِ الْإِبْتِغَاءِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دون لفظِ الطَّلَبِ؛ لكونِ الابتغاءِ أبلغَ وأخصَّ؛ إذ معناه: الطَّلَبُ الشَّدِيدُ، ويكون بالسَّعْيِ إلى أمرٍ على وَجْهِ المحبَّةِ لَهُ، وفي التعبيرِ عَنْ طَلَبِ أسبابِ الحياةِ بالابتغاءِ: إيماءٌ إلى الشَّرْطَيْنِ اللَّازِمَيْنِ لِتحصيلِ المَطْلُوبِ؛ وهو السَّعْيُ والمحبَّةُ⁽¹⁾.

بَدَاغَةُ الْاِكْتِفَاءِ فِي التَّغْلِيلِ لِآيَةِ النَّهَارِ دُونَ آيَةِ اللَّيْلِ:

جُمُةُ آيَةِ
النَّهَارِ الْإِبْتِغَاءِ
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَجُمُةُ
آيَةِ اللَّيْلِ
السُّكُونِ فِيهِ

فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ اِكْتِفَاءً، حَيْثُ نُصِّصَ عَلَى عِلَّةِ آيَةِ النَّهَارِ، وَهِيَ الْإِبْتِغَاءُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّصَرُّفِ فِي الْمَعَاشِ، وَلَمْ يُنْصَّ عَلَى عِلَّةِ آيَةِ اللَّيْلِ، وَهِيَ السُّكُونُ فِيهِ، وَخُصِّصَتْ جُمُةُ آيَةِ النَّهَارِ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الْمِنَّةَ بِهَا أَوْضَحُ وَأَظْهَرُ، وَلِأَنَّ مَنْ تَنَبَّهَ إِلَيْهَا؛ يَحْصُلُ لَهُ التَّنَبُّهُ إِلَى ضِدِّهَا، وَهِيَ السُّكُونُ فِي اللَّيْلِ⁽²⁾.

دِلَالَةُ تَنْكِيرِ ﴿فَضْلًا﴾:

التَّنْبِيهُ عَلَى
سَعَةِ فَضْلِ اللَّهِ
تَعَالَى

نُكِّرَتْ كَلِمَةُ ﴿فَضْلًا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تَعْظِيمًا لَهُ، وَتَنْبِيْهًُا عَلَى سَعَةِ هَذَا الْفَضْلِ؛ لِيَذْهَبَ الْخَلْقُ فِي جَمِيعِ نَوَاحِيهِ، وَيَأْخُذُوا بِجَمِيعِ أَسْبَابِهِ الْمَأْذُونِ لَهُمْ فِيهَا⁽³⁾.
مَعْنَى ﴿مِّن﴾ فِي: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

مَصْدَرُ الْفَضْلِ
هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

حَرْفُ الْجَرِّ ﴿مِّن﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دَالٌّ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْفَضْلَ الَّذِي يَطْلُبُهُ الْخَلْقُ عِنْدَ تَصَرُّفِهِمْ فِي الْمَعَاشِ مَصْدَرُهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ اللَّهِ (الرَّبِّ):

اخْتِيَارَ اسْمِ اللَّهِ (الرَّبِّ) فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 48.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15 / 44.

(3) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 48.

رَبِّكُمْ؛ لَتَضُمُّنِهِ معنى الإحسان، وهو الأنسب لهذا السياق؛ إذ المعنى: لَتَبْتَغُوا فضلاً مِنَ الْمُحْسِنِ إليكم فيهما؛ بضياء أحدهما وظلام الآخر، ولأنَّ اسمَ (الرَّبِّ) دالٌّ على المالك المدبِّر لمملوكه بالحكمة، فيُعْطِيهِ في كُلِّ حالٍ من أحواله ما يناسبه، وفي هذا إيحاءٌ إلى أَنَّ الخَلْقَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَرْضَوْا بما يَسْرَهُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ بعد قيامهم بالأسبابِ المشروعة؛ ثقةً بعدلِ اللهِ تعالى وحِكمته⁽¹⁾.

مَعْنَى اللَّامِ فِي: ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾:

اللامُ في **﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾** مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: **﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾** يُرَادُ بها الحِكمةُ والتَّعلِيلُ، وهي حِكمةٌ حاصِلَةٌ مِنْ آيةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ معاً؛ وهي حِكمةٌ حسابِ السَّنِينَ، وهي في اللَّيْلِ أَظْهَرُ؛ لِانْضِبَاطِ حسابِ الشُّهُورِ وَالسَّنِينَ بحسابِ القَمَرِ⁽²⁾.

دِلَالَةُ عَطْفِ ﴿وَالْحِسَابَ﴾ عَلَى ﴿عَدَدَ السِّنِينَ﴾:

عَطْفُ **﴿وَالْحِسَابَ﴾** عَلَى **﴿عَدَدَ السِّنِينَ﴾** في قولِ اللهِ ﷻ: **﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾** إطنابٌ بعطفِ العامِّ على الخاصِّ، وذلك لأنَّ الحسابَ يشمَلُ حسابَ الأيامِ والشُّهُورِ والفصولِ والأعوامِ، ونُكِّتَ ذلكَ الاهتمامُ بِشأنِ الخاصِّ⁽³⁾، وذلك مِنْ وَجْهَيْنِ: أحدهما: بِذِكْرِهِ مقدِّماً، وَمِنْ طَرُقِ الاهتمامِ التَّقْدِيمِ.

ثانيهما: بِذِكْرِهِ مرَّتَيْنِ؛ إحداهما منفرداً على سبيلِ الاستِغْلَالِ، وأُخْرَاهُما: مُنْدَرِجاً ضَمَّنَ أَفْرَادٍ أُخْرَى.

مَعْنَى الْوَائِي فِي: ﴿وَكُلُّ﴾:

الواوُ في **﴿وَكُلُّ﴾** في قَوْلِهِ تعالى: **﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾** عاطفةٌ⁽⁴⁾ الجملةَ بَعْدَهَا على جملةٍ: **﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ عَآيَتَيْنِ﴾**،

وُجُوبُ الرِّضَا بِمَا
يَسْرَهُ اللهُ تَعَالَى
مِنَ الرِّزْقِ بَعْدَ
الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ
الْمَشْرُوعَةِ

مِنْ حَكَمِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ
حِسَابِ الشُّهُورِ
وَالسَّنِينَ

الاهْتِمَامُ بِشَأْنِ
الْحِسَابِ

طَيِّ مَا دَلَّتِ
الْقُرْآنُ عَلَيْهِ
اِفْتِصَادًا فِي
اللَّفْظِ

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 48.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 45/ 15.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 45/ 15.

(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 20/ 15.

ولفظ **﴿وَكُلَّ﴾** منصوبٌ على الاشتغال، فهو مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ يُفسرُهُ ما بعده، والتقدير: فصلنا كُلَّ شيءٍ فصلاناً، لكن لا يصح إظهارُهُ؛ لئلا يجمعَ بين المُفسِّر والمفسَّر.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ **﴿وَكُلَّ﴾** وَإِضَافَتِهَا إِلَى **﴿شَيْءٍ﴾**:

في التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ **﴿وَكُلَّ﴾** مُضَافًا إِلَى **﴿شَيْءٍ﴾** فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾** مبالغةٌ في الإحاطة والاستغراق، وأنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ بَيَّنَّ كُلَّ مَا يَفْتَقِرُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ⁽¹⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ التَّفْصِيلِ:

في التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ التَّفْصِيلِ دُونَ التَّبْيِينِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾**؛ لكونِ التَّفْصِيلِ أبلغَ وأقوى دِلَالَةً؛ إذِ التَّفْصِيلُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْفَصْلِ بِمَعْنَى الْقَطْعِ⁽²⁾، وَيُرَادُّ بِهِ الْإِبَانَةُ التَّامَّةُ لِحُزْنِيَّاتِ الْأَمْرِ الْمُبَيَّنِّ كُلِّهَا دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي **﴿فَصَّلْنَاهُ﴾**:

عُبرَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي **﴿فَصَّلْنَاهُ﴾** فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾** لِتَحْقِيقِ وَصْفِ التَّفْصِيلِ وَالْبَيَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ إِلَّا وَبَيَّنَّاهُ غَايَةَ الْبَيَانِ، وَلِعَظَمَةِ هَذَا الْبَيَانِ وَشُمُولِهِ أُسْنِدَ فِعْلُهُ إِلَى الضَّمِيرِ (نَا) الدَّالِّ عَلَى الْعَظَمَةِ.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَصْدَرِ **﴿تَفْصِيلًا﴾**:

فِي التَّعْبِيرِ بِالْمَصْدَرِ **﴿تَفْصِيلًا﴾** بَعْدَ الْفِعْلِ الْمَشْتَقِّ مِنْهُ (فَصَّلْنَا) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾** تَأْكِيدٌ لِلْأَمْرِ وَتَقْرِيرٌ لَهُ، لِقَصْدِ التَّشْبِيهِ عَلَى تَمَامِ الْقُدْرَةِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ

كُلُّ مَا يَحْتَاجُ
النَّاسُ إِلَيْهِ فِي
الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ
بَيَّنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى

تَمَامُ الْبَيَانِ
لِحُزْنِيَّاتِ الْأُمُورِ
وَجَزْئِيَّاتِهَا

عَظَمَةُ الْبَيَانِ
الَّذِي بَيَّنَّهُ اللَّهُ
تَعَالَى لِعِبَادِهِ

تَمَامُ قُدْرَةِ اللَّهِ
تَعَالَى

(1) الألويسي، روح المعاني: 30 / 8.

(2) الألويسي، روح المعاني: 30 / 8.

يُرِيدُهُ، وَالْمَعْنَى: كُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ حَقًّا، وَفَصَّلْنَاهُ، وَبَيَّنَّاهُ عَلَى الْوَجْهِ
الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ بَحِيثٌ لَا يَلْتَبِسُ مَعَهُ بغيرِهِ⁽¹⁾.

❁ الفروق العجَمِيَّة:

الآية والعلامة:

الفرق بينهما أَنَّ الآيةَ هِيَ الْعَلَامَةُ الثَّابِتَةُ، وَهِيَ مِنْ قَوْلِهِمْ:
تَأَيَّيْتُ بِالْمَكَانِ، أَي: تَحَبَّسْتُ بِهِ، وَتَثَبَّتْ، وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ الْآيَةُ أَخْصَ
مِنَ الْعَلَامَةِ خُصُوصًا مُطْلَقًا⁽²⁾.

المحو والإزالة:

الفرق بينهما مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَصْلَ الْمَحْوِ دَالٌّ عَلَى
الذَّهَابِ بِالشَّيْءِ بِإِزَالَةِ أَثَرِهِ⁽³⁾، بِخِلَافِ الْإِزَالَةِ فَإِنَّ أَصْلَ دِلَالَتِهَا
اللُّغُوبَةُ هُوَ تَحْيَةُ الشَّيْءِ عَنْ مَكَانِهِ⁽⁴⁾.

وَالْآخَرُ: أَنَّ الْمَحْوَ يَكُونُ غَالِبًا لِلْأَوْصَافِ الْقَائِمَةِ بِالذَّوَاتِ، بِخِلَافِ
الْإِزَالَةِ فَغَالِبُ اسْتِعْمَالِهَا فِي إِعْدَامِ الذَّاتِ أَوْ تَحْيِيتِهَا عَنْ مَحَلِّهَا.

السَّنُونِ وَالْأَعْوَامُ:

السَّنُونُ وَالْأَعْوَامُ بِمَعْنَى مُتَقَارِبٍ؛ إِذْ كُلُّ مِنْ مُفْرَدَيْهِمَا - السَّنَةُ
وَالْعَامُ - دَالٌّ عَلَى مُدَّةٍ مَخْصُوصَةٍ مِنَ الزَّمَنِ تَسْتَفْرِقُ اثْنَيْ عَشَرَ
شَهْرًا، إِلَّا أَنَّهُ يُغَايِرُ بَيْنَهُمَا فِي غَلَبَةِ الاسْتِعْمَالِ.

فَالْغَالِبُ اسْتِعْمَالُ السَّنَةِ فِي الْحَوْلِ الَّذِي فِيهِ الْجَدْبُ وَالشَّدَّةُ،
وَلِذَا يُطْلَقُ عَلَى الْجَدْبِ: السَّنَةُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا

عَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: 130]، أَي: بِالْقَحْطِ وَالْجَدْبِ.

وَالْغَالِبُ فِي لَفْظِ الْعَامِ اسْتِعْمَالُهُ فِي الرِّخَاءِ وَالْخَيْرِ وَالْخَصْبِ⁽⁵⁾،

الآيةُ أَخْصَصُ مِنَ
العلامةِ

المحوُ ذهابٌ
بالشيءِ بإزالةِ
أثرِهِ، وَإِزَالَةُ
تَنْجِيَةِ الشَّيْءِ
عَنْ مَكَانِهِ

غَالِبُ اسْتِعْمَالِ
السَّنَةِ فِي
الشَّدَّةِ، وَغَالِبُ
اسْتِعْمَالِ الْعَامِ
فِي الْخَيْرِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 307/20، والبقاعي، نظم الدرر: 386/11، وابن الجوزي، زاد المسير: 13/3.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 71.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (محو).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زول).

(5) الزاغبي، المفردات: (عوم)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 368/2، والهريري، حقائق الرُّوح

والريحان: 356/21.

وَيَجْمَعُ ذِكْرَ العامِ والسَّنَةِ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ [يوسف: 47-49]، فَعَبَّرَ بِالسَّنِينَ عَنِ الزَّمَنِ الاجْتِهَادِ فِي الزَّرْعِ مَعَ عَدَمِ الاسْتِمْتَاعِ الْكَامِلِ بِمَا حُصِدَ مِنْهُ، اسْتِعْدَادًا لِلْأَزْمَنِ الْقَادِمَةِ، ثُمَّ عَبَّرَ عَنِ الْأَزْمَنِ الشَّدَادِ بِالسَّنِينَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: 48] أَيْ: سَبْعُ سِنِينَ؛ لِحَذَفِ النَّاءِ فِي الْعَدَدِ، فَذَلِكَ مُقْتَضٍ أَنَّ مَفْرَدَ الْمَعْدُودِ مُؤَنَّثٌ، وَهُوَ لَفْظُ سَنَةٍ، ثُمَّ عَبَّرَ عَنِ الزَّمَنِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْفَرْجُ بِالْعَامِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ [يوسف: 49].

وقد اجتمعَ ذِكْرُ العامِ والسَّنَةِ أَيْضًا فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14]، فَعَبَّرَ بِلَفْظِ السَّنَةِ، ذَمًّا لِأَيَّامِ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَبِلَفْظِ الْعَامِ فِي الْاسْتِنَاءِ إِيْمَاءً إِلَى أَنَّ زَمَنَ حَيَاةِ نُوحٍ ﷺ بَعْدَ إِغْرَاقِهِمْ؛ كَانَ عَيْشًا رَغِيدًا وَاسِعًا حَسَنًا بِإِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ وَخُصْبِ الْأَرْضِ⁽¹⁾.

التَّفْصِيلُ وَالتَّبَيُّانُ:

التَّفْصِيلُ أَخْصَصَ مِنَ الْبَيَانِ خُصُوصًا مُطْلَقًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّفْصِيلَ هُوَ الْبَيَانُ التَّامُّ لِجُزْئِيَّاتِ الْأَمْرِ الْمُبَيَّنِ كُلِّهَا دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى أَيْ لَبَسٍ، بِخِلَافِ الْبَيَانِ فَهُوَ مُطْلَقٌ الْإِيضَاحِ.

التَّفْصِيلُ أَخْصَصَ
مِنَ الْبَيَانِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 404/14.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-25-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»